التوثيق والتخييل في سيرة المنتهى –عشتها كما اشتهتني- لواسيني الأعرج

Documentation and visualization in siratalmontaha by wassinial araj

ط د-كنزة عليدرة[1,*]، أد-عمر بلمقنعي[2]

[1]جامعة باجي مختار،عنابة الجزائر، aldk67969@gmail.com

2جامعةباجي مختار عنابة ،الجزائرomarbelmeg@gmail.fr

مخبر الشعريات وتحليل الخطاب

تاريخ الإيداع: 2021/05/01 **تاريخ المراجعة**:2021/06/17 **تاريخ النشر**: 2021/09/30

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في الرواية السير ذاتية باعتبارها أكثر الأنواع الأدبية إثارة للجدل، فهي تجمع بين فنين أدبيين مختلفين السيرة الذاتية والرواية، الأولى قوامها الواقع والثانية الخيال المطلق ، وعليه سنحاول الفصل بين ما هو واقعي وما هو متخيل في رواية سيرة المنتهى ، وسنعتمد في ذلك على آليات المنهج التحليلي وسنحاول الإجابة على ما يأتي:

- أين ينتهي التوثيق "السيرة" ويبدأ التخييل في هذا العمل الروائي؟
- وكيف يمكننا حقا الفصل بينهما؟وماهي الآليات التي نتبعها في ذلك ؟ وهل كل الروايات السير ذاتية تشترك في شروط وخصائص محددة؟

الكلماتالمفتاحية: التوثيق –التخييل- الرواية - السيرة الذاتية - الرواية السير ذاتية.

Abstract:

this study looks at the autobiographical novel wich pare considered the most controversialliterlaly kind and it brings together two differentsliterlalyarts..the first one based on reality and the second over on the absolutimagination based on this we will tryto distinguish between what is real and what is imaginary is siratalmuntahanovel and we will reply on the mechanics research mechanism to do so .where does the documentation (the biography)ends and the imagination begins in this fictional work?how can really distinguish between them and what are themechanism that we should follow to do so ?should has a common condition ?

***keywords**:documentation-imagination-fiction-novel-autobiography.*

* المؤلف المراسل

تقديم:

إن المتمعن في مسار الرواية العربيّة سيلاحظ تعدد تيماتها ومواضيعها بتعدد الأحداث والوقائع التي شهدها الوطن العربي، في غمرة هذه الأحداث وجد الأديب نفسه ملزما بضرورة خلق خطاب مغاير ينبع من أعماق الذات ويستمد خصوصيته منها، كمحاولة منه لبعث الرواية من جديد بعد أن كانت تتوارى وراء الخطابات الأيديولوجية ،فأخد يراوح بين خياله وما عاشه تحت مسمى رواية السيرة الذاتية ،وهي نوع هجين يمتح من نوعين أدبيين مختلفين أحدهما يقوم على الواقعية التامة (السيرة)والثاني على الخيال المطلق (الرواية)، فظهرت العديد من الأعمال كثلاثية حنا مينا "بقايا صور – المستنقع - القطاف" وأيضا "في الطفولة" لعبد المجيد بن جلون و "الرجوع إلى الطفولة" لليلى بوزيد وغيرها من الأعمال السير ذاتية التي تتدثر بالفن الروائي.

وعليه جاءت هذه الدراسة للتعرف على هذا النوع وما مدى حضوره وتمثله في الأعمال الروائية الجزائريّة وفي رواية سيرة المنتهى لواسيني الأعرج.

أولا في مفهوم رو اية السيرة الذاتية:

1-السيرة الذاتية:

يعد مصطلح السيرة الذاتية من المصطلحات البارزة في الساحة الأدبية ،فعلى الرغم من أن الفرنسي فيليب لوجون في مؤلفه الميثاق الأوتوبيوغرافي وضح مفهومه وحدد شروطه ،إلا أن الأقلام النقديةلا تنفكتلوكه وتتناوله في مختلف الدراسات ومرد هذا إلى طبيعة المصطلح السجاليّة التي جعلته يفرز جملة من الأسئلة المرتبطة في الأساس بماهيته ونشأته وعلاقته بأجناس مجاورة له "فعندما نتأمل خانة الأشكال ذات العائلة الأجناسية الواحدة فيصعب التميز العلمي المقنع والنهائي بين السيرة الذاتية والمذكرات وبينها وبين السيرة والرواية الشخصية وقصيدة السيرة الذاتية واليوميات الخاصة والرسم الذاتي والمقالة فضلا عن علاقة السيرة الذاتية بالرواية"[1] .

يرى البعض أن تقديم مفهوم جامع مانع للسيرة الذاتية ضرب من المحال لأنها "جنس شديد الميوعة والليونة والانصهار مع الفنون القولية الأخرى"[2]،بيد أن الباحث سيرى أن كبار الدارسين قد تعرضوا لها وقدموا لها تعاريف تختلف في خطوطها العريضة وتلتقي في جوهرها "فيليب لوجون، شوقي ضيف ،يحي إبراهيم عبد الدايم..." لتدل على ذلك النوع الذي يكتب فيه الشخص حياته ويعبر فيها عن ذاته، يعرفها فيليب لوجون في قوله: "حكي استيعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"[3]من خلال هذا التعريف نلاحظ أن السيرة الذاتية لا تقوم إلا بتظافر مجموعة من العناصر أطلق عليها لوجون فيليب الميثاق الأوتوبيوغرافي ، فاللغة لابد أن تكون حكيا نثريا من منظور استرجاعي أما الموضوع فهو حياة فردية /تاريخ شخصية معينة ، أما المؤلف والسارد فيشترط فيهما التطابق وكذا تطابق السارد والشخصية.

هذه معايير ثابتة لتحديد النوع "وغياب معيار واحد منها أو أكثر يخرج الأثر الأدبي من خانة ليلقي به في خانة جديدة على هذا النحو"[4]وهذا ما جعل فيليب لوجون يقول: "لا تحتوي السيرة الذاتية على درجات إنها كل شيء أولا شيء"[5]وبذلك يخرج من قائمة السيرة الذاتية جميع النصوص المشابهة التي لم تستوف الشروط السابقة ويخص بالكلام كل من اليوميات، المذكرات ،الرسم الذاتي ،المقالة .

ونورد في هذا السياق تعريفا آخر ليحي إبراهيم عبد الدايم الذي يفضل استخدام مصطلح الترجمة الذاتية"والترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء كما سلف وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل لنامحتوى كافيا عن تاريخه الشخصي على نحو موجز حافل بالتجارب والخبرات المتنوعة والخصبة"[6]فيحي عبد الدايم يشترط في السيرة الذاتية أن يكتبها صاحبها بطريقة مترابطة ومتناسقة في أسلوب أدبي جميل.

الدلالة الاصطلاحية نفسها تقدمها أمل التميمي في كتابها السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي تقول: "تسجيل كتابي أو شفهي بدون كتابة يقوم به شخص واقعي بشكل معلن في عمر ناضج نسبيا باستعادة موقف أو مواقف من خبراته وأفعاله وتفاعلاته وأحاسيسه"[7]وعليه فالسيرة الذاتية هي أن يكتب الإنسان حياته وتجاربه الخاصة في قالب لغوي مترابط ومتناسق.

ومن المعروف تاريخيا أن السيرة الذاتية فن أدبي قديم ، ترجعه الدراسات إلى اعترافات القديس أوغستين وجون جاك روسو والبحث عن الزمن الضائع لمارسيل بروست وصورة الفنان في شبابه لجيمس جويس، أما عند العرب فيمكن الاستدلال بالمنقذ من الظلال لأبي حامد الغزالي وكتاب ابن خلدون " التعريف برحلة ابن خلدون شرقا وغربا"، وعلى الرغم من عراقة هذا اللون إلا أنه لم يأفل بل انبعث من جديد في الأشكال التعبيرية المعاصرة "الرواية" متدثرا بها وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ترابط الفكر الإنساني ، كما يحيل على الخصائص الفنية المميزة التي يقوم عليها هذا اللون الأدبي والتي سمحت له بالتسرب لفنون القول المعاصرة، باختلاف مقولاتها الحداثية ومسوغاتها السردية، ولقد كانت الرواية أكثر هذه الأنواع احتضانا واحتواء لفن السيرة الذاتية ، ونعزو هذا للخصائص الفنية التي تقوم عليها هذه الاخيرة "الرواية"، فقد راهنت منذ بداياتها مع سيرفاتيس على ملامسة جوهر الإنسان والتعبير عن انشغالاته وهذا ما سهل عليها التواشج مع السيرة الذاتية ،تعلق لطيفة لبصير عن هذا التعالق تقول :"إن هذا الجنس الأدبي بدأ يراوغ في المراحل الأخيرة بشكل كبير ليمحو المسافة بين الرواية والسيرة ويخلط بينهما والأعمال الأدبية الحديثة تبرز ذلك ، فالمتخيل أصبح هو أيضا حقيقة الذات ومن هنا فإن السيرة الذاتية تتضمن المحكيات التخييلية والرواية تتضمن المحكيات السيرية"[8] ومن هنا يمكن القول أن الرواية أكثر القوالب الفنية احتواء وملائمة لمحكي الحياة.

2- الرواية السيرذاتية:

رواية السيرة الذاتية هي الرواية التي استمدت أحداثها ووقائعها من الأحداث الشخصية لمؤلفها، أي أنه يجعل من أحداث حياته أحداثا لشخصياته الروائية، يعرفها فيليب لوجون " كل النصوص التخييلية التي يمكن أن تكون للقارئ فيها دوافع ليعتقد انطلاقا من التشابهات التي يعتقد أنه اكتشفها أن هناك تطابق بين المؤلف والشخصية في حين أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق أو على الأقل اختار أن لا يؤكده"[9]، فالرواية السير ذاتية حسب فيليب لوجون هي كل النصوص الإبداعية التي يتأتى للقارئ من خلالها إدراك التطابق الموجود بين السارد والشخصية سواء صرح المؤلف بذلك أم لا، كما يؤكد على الصياغة الفنية لها وقيامها على عنصر التخييل ،الشيء نفسه يذهب إليه محمد الباردي إذ يعرفها بقوله" تحويل السيرة الذاتية إلى كتابة أدبية صرفة يلعب فيها الخيال دورا خاصا"[10]

وعليه فهي صياغة سردية تجمع بين السيرة الذاتية والرواية أو بعبارة أخرى هي واقع معيش متدثر بالخيال، هذا ما صرح به جورج ماي "إن السيرة الذاتية حاضرة دائما في الرواية ولا يتغير إلا مقدار نسبة السيرة الذاتية فحسب"[11]، بمعنى أن كل رواية تحمل سيرة سواء صرح بذلك أم لا ، فالكاتب مهما حاول أن ينأى بذاته ويتحلى بالموضوعية إلا أن أناه /ذاته ستكون حاضرة بشكل جلي أو خفي.

ثانيا الرواية السيرذاتية في الجزائر:

يتفق جل الدارسين للرواية الجزائرية أن رواية السيرة الذاتية لم تظهر إلا في خمسينيات القرن الماضي مع كتابات مولود فرعون "ابن الفقير" 1950 وكاتب ياسين "نجمة"1955، أي أثناء المدة الإستعمارية وهي مرحلة حرجة من تاريخ الفرد الجزائري عانى فيها من الظلم والاضطهاد وشتى أنواع العبودية، فكان هذا معطى كاف ليبطن الخطاب الروائي بسير أصحابه، هذا ما نقف عنده في رواية ابن الفقير التي تعرض فيها مولود فرعون بكل شفافية وصدق لطفولته البائسة في قريته الصغيرة المعزولة "تيزي هيبل" ، وما كابده من محن مع أبناء جلدته "فرواية ابن الفقير لمولود فرعون والتي نشرت سنة 1950أول رواية جزائرية جديرة بهذا الاسم وهي في الوقت نفسه أول نص أوتوبيوغرافي يؤسس للأدب الروائي الجزائري ذي التعبير الفرنسي"[12]، ثم تأتي رواية نجمة لكاتب ياسين الصادرة عام 1955 وهي أيضا نص أوتوبيوغرافي مكثف الدلالة فنجمة هي الوطن / الأم / الحبيبة، تنقل لنا بعض ما عاشه كاتبنا كأحداث الثامن ماي 1945 واعتقاله وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره،جنون والدته ،زواج ابنة عمه، يقول الطاهر بن جلون متحدثا عنه: "إن كاتب ياسين الذي يعد أكبر أديب مغاربي لم يتبنّ الأوتوبيوغرافيا على غرار الأسلوب المعهود :إنني ولدت...ولكنه ابتدع شكلا جديدا للأوتوبيوغرافيا يتمثل في السيرة الذاتية للجزائر ، وهنا تكمن حقيقة أصالة نجمة"[13]، ثم توالت الأعمال الروائية التي توظف سير أصحابها لكن بنوع من التحفظ والميل للتخييل ككتابات مولود معمري الربوة المنسية 1952 ، سبات العادل 1966، والأفيون والعصا1965،وأيضا أعمال رشيد بوجدرة التطليق ، الإنكار، ورائحة الكلب لجيلالي خلاص، باب الريح لعلاوة وهبي ،أطفال العالم الجديد لآسيا جبار، العشق والموت للطاهر وطار" فظاهرة اللجوء للسيرة الذاتية في الرواية الجزائرية تكاد تشكل القاسم المشترك الذي تلتقي عنده جل الروايات و إن لم تكن كلها منذ نشأة الرواية الجزائرية إلى ما صدر في المدة الأخيرة"[14]، وهكذا أصبحت الذات موضوعا بارزا من السهل استجلاؤه في النصوص الروائية الجزائرية.

مضمون الرواية:

سيرة المنتهى -عشتها كما اشتهتني - هي رواية سيرية تجمع بين دفتيها عالمين أحدهما واقعي والآخر متخيل ،يفتتح السرد بمناصات دينية تتعالق مع موضوع الرواية " الموت ، الفناء ،البرزخ "حديث نبوي شريف من صحيح البخاري ومقتطف من كتاب المعراج لمحي الدين بن عربي ورسالة إلى غريكو، ثم ينقلنا الكاتب إلى عالم روحاني وهو بين الحياة والموت يعرج إلى سدرة المنتهى العالم الآخر وعندما يبلغ جبل النور يرى تابوته مكتوبا عليه اسمه وتاريخ ميلاده ووفاته بالعربية والعبرية ، ثم يلتقي بجده الروخو ،فيتكلمان عن أسلافهما الأندلسيين وعن سقوط غرناطة وعن أمجاد العرب والمسلمين في بلاد الأندلس.

بعد هذه الانطلاقة الدينية والالتفاتة التاريخية ، نرى الأديب يخصص باقي الصفحات لسرد حياته فيتذكر أهم الأحداث التي عاشها فيسترجع ذكريات الطفولة مع والدته وجدته، كما يتحدث عن مرض أخيه عزيز ووفاة أخته

زوليخا ، وكيف فقد أحبته الواحد تلو الآخر، فستنطقهم داخل هذا المتن وجعلهم يفعلون السرد يقول:" أبطالي الذين شكلوا السيرة كلهم ماتوا اليوم آخرهم ميما آميزار"[15]وبذلك جعلهم يتفاعلون مع واقعه ومن ثمة نقده يقول:" استحضرت حياتي في قلب عواصف الفرح والغضب أيضا استرجعت كل ما خزنته من حكايات أمي ومرويات حنا فاطنة وتناقشت مع المقربين مني كثيرا حول بعض الموضوعات الحساسة هناك من شجع وهناك من نبه وهناك من منع ولكني انتهيت من الكتابة بحرية كاملة"[16]

فسيرة المنتهى رواية مميزة تختلف على ما هو سائد في الساحة الأدبية، تنقل لنا تجربة الكاتب الشعورية وتقف عند العديد من محطات حياته، فتنقلها بلغة جميلة تزاوج بين الواقع والخيال.

ثالثا الو اقعي والمتخيل في سيرة المنتهى:

تضعنا المعاينة الأولية لنص سيرة المنتهى أمام نص روائي سير ذاتي، رواية تقوم على خاصية التذويت وسمة التذكر والاسترجاع لأحداث واقعية عاشها البطل ،كما أنها تنقلنا لعوالم متخيلة قائمة في ذهنه كعروجه لسدرة المنتهى والتقائه بشخصيات تاريخية واستنطاقه لها كابن عربي وسيرفاتيس ومصادفته هناك لجده الروخو ، وأحبته الذين فارقوا الحياة ، فالكاتب تعمد المزج بين عالمين واقعي معاش ملموس بشخصياتهوأماكنه ، وغيبي روحاني يدركه بالتأمل والحلم، ولنفصل بين ماهو واقعي ومتخيل لابد من الاضاءة على ما اصطلح عليه فيليب لوجونبالميثاق السير ذاتي وهو "التزام بين المؤلف الفعلي والقارئ على مضمون ما يقرأ هل هو واقعي يحمل صفات الكاتب أم محض خيال "[17]وكيف تمثل في هذا العمل؟

1-العقد السيرذاتي:

نستشعر البعد التوثيقي في هذه الرواية بداية مع العنوان الفرعي " رواية سيرية " ، وبما أن السير هي تسجيل وتوثيق بالضرورة فإن هذا سيرسو على الرواية ويجعلها حاضنة لأحداث ووقائع مختلفة، وعلى الرغم من تعدد السير في اصطلاحها العام إلا أنها تميل في هذا المتن وتنحصر في النوع الأكثر ذيوعا وهي السيرة الذاتية "وهي نوع سردي خاص وحيوي من أنواع السرد السيري"[18]تحتفي بالتجربة الحياتية لكاتبها ، هذا ما يؤكده ضمير المتكلم الذي يحيل على تطابق السارد والشخصية" فغالبا ما يتحدد تطابق السارد والشخصية الرئيسية الذي تفترضه السيرة الذاتية من خلال استعمال ضمير المتكلم"[19]والأمثلة في هذه الرواية عديدة نحو قول الروائي " رأيت ذئابا كثيرة في صغري كلها كانت تخيفني ذئب واحد ظل في ذاكرتي يخترق أحلامي في كل مرةرأيته وأنا أرافق زهور أختي وهي تركض وراء أغنامها خوفا من الذئاب"[20]وقوله في مقطع آخر " ارتعشت قدماي واصطكت أسناني وتذكرت يوم القبض على والدي وكيف هددوا بقتله أمامنا"[21]، فالكلام في هذين المقطعين ينسب للبطل وهو نفسه السارد، وينبغي التنويه هنا أن ضمير المتكلم ليس معيارا كافيا لتصنيف العمل على أنه سيرة ذاتية، فهناك سير تستخدم ضمير الغائب وهذا ما صرح به فيليب لوجون حين قال :"حقيقة أنه يمكن أن يكون هناك تطابق بين السارد والشخصية الرئيسية في حالة الحكي بضمير الغائب"[22]وهذا ما يدفعنا إلى التشكيك في واقعية ما يسرد ، لكن هذا الشك سرعان ما يتبدد عندما ندرك التطابق الموجود بين الاسم الشخصي للمؤلف واسيني الأعرج ولبطلها جاء في المتن" فكرت في التخلي عن اسمي العائلي لعرج برغبة عميقة في عدم توريط العائلة في وضع كان شخصيا جدا وخيارا فرديا"[23]فهذه ثاني علامة تدل على الجانب الواقعي السير ذاتي.

تتعزز الرؤية السير ذاتية أكثر عندما يوظف الروائي تقنية الاسترجاع والارتداد للماضي في الكثير من الوقفات التي تتخلل السرد فهنا "التذكر يقترن بالحكي وفعل الحكي لا يتحقق إلا عبر فعل التذكر"[24]، فيستعيد الروائي أحداثا عديدة عاشها منها السعيدة كقوله: "نسيت الحادثة بسرعة لأنني في النهاية حصلت على تهنئة كانت يومها أعلى التهنئات العلمية"[25]وأخرى حزينة يقلب فيها مواجعه خاصة عندما يتحدث عن والدته ميما آميزار ومعاناتها في سبيل تربية أبنائها اليتامى، ومن أكثر الشواهد التي تعبر عن تضحية الأم قوله:"تعبت كثيرا ثم نزعت حذاء الميكا البلاستيكي القاسي ، رأيت بأم عيني يومها جلدة الرجل التحتية تنسحب من رجلها وبقيت ملتصقة بالحذاء مخلفة وراءها بقعة حمراء من اللحم الحي ، سلخ الجلد لم تتأوه أبدا بعد أن تحملت الأم نزع حذائها وهي تكابر ما علي والو يا حبيبي أنا بخير روح وليدي اقرأ اقرأ باش يرضى عليك بابالك أحمد وسيدي محمد الواسيني"[26]،في هذا المشهد الاسترجاعي يتذكر السارد معاناة الوالدة وكيف كانت تحفزه على الدراسة حتى صار ماهو عليه الآن.

تبقى الذاكرة حاضرة بقوة لكنها عليلة أرهقتها الأحزان لفقدان الأحبة يقول عن فراق شقيقه عزيز "لقد خذلتك السنوات بسرعة يا ابن أملم تكن تعلم أن الموت سيقلب كل المعادلات وسيختارك الرقم الواحد في الألف بعد الموت"[27]، ويظل الحزن مهيمنا على العديد من الوقفات الاسترجاعية ، خاصة تلك التي تتحدث عن وفاة جدته حنا فاطنة ،شقيقته زوليخا ، حبيبته مينا.

فالكاتب ضمن عمله العديد من العناصر الأوتوبيوغرافيةبداية بالعنوان التوثيقي فالضمير ،اسم البطل الذي يحيل على المؤلف واعتماده على آلية الاسترجاع والتذكر لأحداث شخصية وأخرى جماعية ، هذا بالنظر إلى المتن أما خارجه فهناك العديد من الإشارات والنصوص الموازية التي توجه القارئ وتدل على الجانب التسجيلي ، بداية مع الإهداء الذي جاء فيه "ميترا الحبيبة ...متعب إنها علامات النهاية"[28]، عندما نقرأ هذا الإهداء فإن أول مايتبادر لذهننا هي ميترا آلهة الشمس في الحضارة الفارسية القديمة، أو أنها شخصية خيالية تستحوذ على ذهن الكاتب ، لكن عندما نقرأ " ميترا...ميما الصغيرة شكرا، لولاك ما كانت هذه السيرة وما كان هذا المنتهى"[29]نتيقن أن الوالدة هي المقصودة في الإهداء فقد جعلها في مقام الآلهة تضاهيها في العطاء والنور.

وفي الإهداء الآخر المعنون ب"حبيبي ومولاي الجليل – سيدي علي برمضان الكوخو"[30] نجد خطابا صريحا موجها للجد " تستحق أكثر من هذا يا جدي الأعظم"[31]وبانتقالنا للعناوين الرئيسية نرى بأنها عنونتبأسماء أحبته الذين شكلوا مادته الحكائية (جده الروخو–ميما آميزار–حنا فاطنة – القديسة مينا).

تتجلى الصورة أكثر مع الملحق الذي اعترف فيه الكاتب بأن هذه الشخصيات هي الملهمة له في هذا العمل يقول :"جدتي كانت الجزء الأهم من عالمي الداخلي ، كانت غناي وعفويتي ومتخيلي العميق جدا...عمود الوفاء وقوة الصمود الذي ارتكزت عليه في السيرة هو أمي ميما آميزار...عمود آخر إنبنت عليه هذه السيرة إرتبط بأول حب أتذكره جيدا، بل أول تجربة حسية وعاطفية مع مينا"[32]

وتشمل سيرة المنتهى –عشتها كما اشتهتني- على العديد من القرائن الدالة على واقعية السرد ولكن هذا لا يعفيها من الخضوع لسلطة الخيال والامتثال لقواعد الفن الروائي.

2- البعد التخييلي:

الأصل في الرواية أن تقوم على عنصر الخيال وأن يستأثر بالسرد راو عليم، إلا أن روايتنا تخالف السائد والمألوف وهذه سمة تعد لكاتبنا فهو هنا يمزج بين الواقع والخيال بلغة مكتنزة قوية مثقلة بالدلالات والمعاني ليسرد بعضا من حياته الخاصة في قالب روائي مميز.

تنفرد الشخصيات الروائية هنا كونها ذات مرجعية واقعية (الجد الروخو–الأم ميماآميزار– حنا فاطنة – الأخ عزيز – مينا الحبيبة)عاشوا معه وشاركوه حياته ولكنهم أموات ، ومادامو كذلك فقد تم استدعاؤهم عن طريق الذاكرة ، ومن ثمة تحفيزهم واستنطاقهم وجعلهم عوامل محركة للسرد، جاء في الرواية على لسان جدته مخاطبة إياه " امش في خط مستقيم فقط وسترى فجوة النور التي توصلك لمبتغاك لا تغير ماخط لك وإلا ستسقط في التيه الذي لن تستطيع عبوره أبدا "[33]، فالشخصية هنا واقعية إلا أن ما ينسب لها من أقوال هو من نسج خيال الروائي، وهناك شخصيات أخرى تاريخية سابقة لزمن الروائي استدعيت كابن عربي جاء في الرواية "دخلت حنا كان الشيخ الأكبر برفقتها ...قالت حنا وهي تضع يد الشيخ في يدي بحنان ، شيخي الجليل هذا حفيدي الذي عرف كيف يكون وفيا لتاريخ أجداده هذا ابني الذي لم أنجبه وحبيبي الذي كبر بين ذراعي"[34]

يرتفع سقف التخييل عندما يتحدث عن سيرفانتيس صاحب الصنعةيقول :" عندما دخلت على سيرفاتيس وهو لايزال يحاول أن يستقيم في جلسته كأنه وصل هو أيضا لتوه " [35]ويستنطقه في مقاطع أخرى نحو " سألني سيرفانتيس وهو يمرر أصابعه داخل لحيته لابأس يا سيدي الجو بارد في المغارةلكنه جميل فقد سمح لي بإغفاءة كم كنت في حاجة ماسة إليها"[36] ولا يتوقف التخييل عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى استنطاق شخصيات روائية رسمها الروائي في أعمال سابقة كزريدة في " حارسة الظلال" يقول مخاطبا إياها شخصيا "مشكلتك يا زريدة أنك كنت بين الورق والحياة على المسافة نفسها ولهذا كل من يقرأ عنك يقرأ حقيقة"[37]هذافيمايخص الشخصيات الروائية.أما عنصري الزمان والمكان فلهما أيضا نصيب من الخيال ، فالمكان منذ أول مفتتح سردي هو مكان متخيل استباقي ليست له حدود و ثوابت واقعية ، يتجسد بعروج البطل لسدرة المنتهى وهو أعلى مقام بلغه المصطفى ليلة الإسراء والمعراج جاء في الرواية "بدأت أطير في أعماق الغيمة في غمرة شلالات من النور التي لم أكن قادرا على النظر فيها بالشكل الذي اعتدته كنت أطير باتجاه غير معلوم"[38] وفي مشهد أبلغ يقول :"سدرة المنتهى قال السالك فقلت له: ما هذا النور والبها قال : سدرة المنتهى "[39]، فالمكان هنا غيبي روحاني أدركه البطل بفعل العروج وهو فعل خص به الله عزّوجل المصطفى عليه السلام ، بالإضافة لأماكن أخرى كجبل النار حين يقول: "أخيرا وصلت لجبل النار تيغراو"[40]، وشجرة النور " لا تخف يمكنك ان ترمي بنفسك في ظلها بلا تردد لا علاقة لها بشجرة الخلد، لا تاريخ لها في الكتب السماوية ولا أي ذكر ، شجرة تمنح القلب فسحة التنفس في مكان الرئتين وتمنح الذاكرة حاسة النظر والرؤية"[41]، فجل هذه الأمكنة قد أسهمت الخلفية الدينية للكاتب في صناعتها.

ولأن الرواية هي رحلة بين اليقظة والحلم فهناك العديد من الأماكن الواقعية التي جاء ذكرها بشكل مقتضب أو كإشارة مثل مدينة تلمسان جاء في الرواية " شتاءات تلمسان قاسية في ثاني لقاء لنا بدت هادئة على غير لقاءنا الأول في ذلك الصباح البارد "[42] ، فالسارد هنا يسترجع ذكرياته العاطفية وعلاقاته الأولى في مدينته العتيقة تلمسان ، ويتحدث في موضع آخر عن أحيائها الشعبية (حي القصيريات) يقول :" تدحرجنا بهدوء نحو الجانب السفلي من حي القصيريات لم أكن أعرف إلى أين نتجه ، لكني بدأت أخمن قليلا دخلنا إلى حي شبه مغلق من كل

الجهات ...كنا في عمق حي البراديل مشيت فيه مرة واحدة بالصدفة أنا و عمر أحد أصدقائي في الثانوية"[43]، كما يشير لأماكن أخرى كقرية سيدي بوجنان ، غرناطة ، الأندلس من دون أن تنفلت هي الأحرى من قبضة الخيال.

أما الزمن فهو الآخر غير محدد يخضع لذاكرة السارد ، فأحيانا ينقلنا للماضي القريب عندما يتحدث عن طفولته نحو قوله: "عندما استشهد والدي في عزلة الموت ركضت ميما آميزار في كل الاتجاهات من البلدية إلى المدارس بحثا عن عمل يستر العائلة ، فلم تصل بعد وساطات كثيرة إلا إلى عاملة تنظف مراحيض المدارس" [44]وقوله في مقطع آخر متحدثا عن أخته زوليخا " زوليخا تنشغل في التربة الصلصالية اليوم كله كانت تعجنها كما تشتهي لصناعة الأواني الفخارية والطواجين"[45]، وأحيانا أخرى ينقلنا للماضي البعيد عندما يستنطق التاريخ ويتعرض لخيبة الأجداد في بلاد الأندلس، يقول في أحد المقاطع متحدثا عن ضياع التراث العربي الإسلامي " طلبت من جدي أن نهرب مخطوطات طليطلة نحو مالقة ، فهناك أهلنا والوضع أفضل لنا جزء من الأهل و الأصدقاء الذين نزحوا إلى هناك بسبب الأوضاع المتردية في أمكنة كثيرة من أرض الأندلس"[46]، وفي مواضع أخرى يعود للحظة الراهنة .

ولعل أبرز مفارقة زمنية استخدمها السارد والتي توحي بالبعد التخييلي ، هي استشرافه للمستقبل واستباقه للحظة وفاته وانطلاقه منها في سرد هذه السيرة " كانت لحظة انفصال الروح عن الجسد بينما كان مولاي السالك كما سمعت المنادين له ذو اللحية البيضاء يمد يده لي ويشدني نحو بوابة النور" [47]وقوله في مقطع آخر :"أدركت بسرعة أن مولاي السالك كان هو رجل ليلة الرحيل كل حركاته كانت توحي بذلك أخرجني بنعومة من دائرة الأهل والأصدقاء وهم يتلاطمون ويندبون ويبكون غائبا مسجى"[48]، وفي هذه التنقلات بين الماضي والحاضر والمستقبل يفقد الزمن خطيته ، ويصبح خاضعا لأهواء الكاتب الذي استنزف كل طاقات الإبداع والخيال في بناء هذه السيرة.

الخاتمة:

في ختام هذه الرحلة القرائية نستنتج أن:

-السيرة الذاتية من أكثر الأنواع الأدبية تلاحما مع الفن الروائي، وقد ظهرت في أعمال كتابنا الرواد كشذرات ومتفرقات كأعمال كاتب ياسين ومولود فرعون الذين انطلقا في كتاباتهما العالمية من تجاربهم الشخصية.

-الرواية السير ذاتية هي الرواية التي تحتفي بالتجربة الشخصية لكاتبها وتمتثل في نفس الوقت لقواعد الفن الروائي وسننه وأبرزها الخيال.

- تحتوي هذه الرواية –سيرة المنتهى- على العديد من القرائن الدالة على واقعية السرد بداية بالعنوان الفرعي ، ضمير المتكلم ، الاسم الشخصي ، ذكر شخصيات وأحداث واقعية ثم يتأكد هذا في الملحق حين يعترف الروائي.

-وظف الروائي العديد من الأماكن الواقعية كمدينة تلمسان ،غرناطة ،الأندلس وأخرى متخيلة كسدرة المنتهى وشجرة النور ساهمت في اتحادها في تشكيل الفضاء الروائي .

-يفقد الزمن في هذه الرواية خطيته فيخضع لأهواء الكاتب ولمقتضيات العمل الإبداعي ، كما تغلب عليه الوقفات الاسترجاعية كأحد شروط السيرة الذاتية.

-سيرة المنتهى –عشتها كما اشتهتني- رواية سيريّة يتواشج فيها الواقع مع الخيال ويتماشيان مع بعض إلى غاية انتهاء السرد، فأحيانا يعود لواقعه وما عاشه فيوظف آليات السيرة الذاتية وما أقره فيليب لوجون، وأحيانا أخرى يطلق العنان لخياله ليعبر عن تعلقه بوطنه وأجداده تاركا للمتلقي والقارئ حرية التأويل والتفسير كما يشتهي.

هوامش وإحالات المقال

[1]- محمد البارودي : عندما تتكلم الذات ، إتحاد الكتاب العرب، دمشق ، دط ، 2005،ص9.

[2]-إبراهيم كاراوان حاجي: السيرة الذاتية في الحوار الأدبي، دراسات في تحولات الأرجوان لمحمد صابر عبيد، دار غيداء، الأردن، دط ،2016،ص14.

[3]- فيليب لوجون: السيرة الذاتية ، الميثاق والتاريخ الأدبي ،تر: عمر حلي ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1994،1،ص22.

[4]- محمد البارودي : عندما تتكلم الذات ، ص12.

[5]- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي،ص12.

[6]- يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، دط ،1995،ص10.

[7]- أمل التميمي :السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،ط1، 2005،ص28.

[8]- لطيفة لبصير: الجنس الملتبس، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،ط1، 2008،ص34.

[9]- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ،ص37.

[10]- محمد البارودي: عندما تتكلم الذات،ص137.

[11]- جورج ماي : السيرة الذاتية ، ترك محمد القاضي ، بيت الحكمة ، تونس، دط، 1992،ص199.

[12]الطيب بودربالة: من السيرة الذاتية إلى السيرة الروائيةwww.benhedouga.com

- الطيب بودربالة: رواية السيرة الذاتية في الجزائر، ملتقى أعمال عبد الحميد بن هدوقة، برج بوعريريج، وزارة الثقافة، مطبعة دارهومة 2002 [13]، ص16.

[14]- أحمد حيدوش: السيرة الذاتية في الرواية ، مجلة المعارف ،ع2، 2007،ص18.

[15]- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى ،يصدر عن مجلة دبي الثقافية ،ط1 ،2004 ،ج2، ص432.

[16]- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى،ج2 ،420.

[17]- ممدوح فراج النابي :السيرة الذاتية سؤال الوجود ، دار الثقافة و الإعلام ، الشارقة ،ط1 ،2008 ،ص22،21.

[18]- محمد صابر عبيد: الذات الساردة سلطة التاريخ ولعبة المتخيل ،دار نينوى ، سورية ، دط ، 2013،ص5.

[19]- فيليب لوجون : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ،ص24.

[20]- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى ،ج1ص66.

- واسيني الأعرج :سيرة المنتهى ،ج2،ص99.

[22]- فيليب لوجون : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي،ص25.

[23]- واسيني الأعرج :سيرة المنتهى ،ج1،ص160.

[24]- خالد سليكي : السيرة الذاتية عند محمد شكري بين استراتيجية الواقع ورهان الكتابة، مطبعة فضالة، المغرب، ط1،ص31.

[25]- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى ،ج2 ،ص250.

[26]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ،ج1،ص167.

[27]-واسيني الاعرج: سيرة المنتهى، ج1،ص126.

[28]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى، ج1، ص6.

[29]- واسيني الأعرج ، سيرة المنتهى ،ج1، ص6.

[30]- واسيني الأعرج :سيرة المنتهى ،ج1،ص9.

[31]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ،ج1،ص9.

[32]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ، ج2، ص230،229.

[33]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى، ج1،ص245.

[34]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ، ج2، ص238.

[35]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى،ج2،ص272.

[36]-واسيني الأعرج :سيرة المنتهى، ج2 ،ص274.

[37]- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى،ج2،ص260

[38]- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى ،ج1،ص19

[39]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ،ج1،ص21

[40]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى،ج1،ص24

[41]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ،ج2،ص113

[42]- واسيني الأعرج :سيرة المنتهى ،ج2، ص116.

[43]- واسيني الأعرج :سيرة المنتهى ،ج2،ص94،95.

[44]- واسيني الأعرج :سيرة المنتهى ،ج1،ص200

[45]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهي ،ج1،ص202.

[46]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى،ج1،ص56

[47]- واسيني الأعرج :سيرة المنتهى ،ج1، ص19

[48]- واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ،ج1،ب20

قائمة المصادروالمراجع :

1-واسيني الأعرج : سيرة المنتهى ، يصدرعن مجلة دبي الثقافية ،ط1 ، نوفمبر2014.

2-محمد الباردي :عندما تتكلم الذات ،اتحاد الكتاب العرب ، سورية ،دط ،2005.

3-كاراوان حاجي إبراهيم :السيرة الذاتية في الحوارالأدبي ، دارغيداء ،الأردن ،دط،2016.

4-فيليب لوجون : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، تر: عمرحلي ،المركزالثقافي العربي ،بيروت ،ط1994،1.

5- يحي إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دارإحياء التراث العربي ،بيروت ،دط،1975.

6-أمل التميمي : السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي ، المركزالثقافي العربي ، بيروت ،ط2001،1.

7-لطيفة لبصير: الجنس الملتبس ،المركزالثقافي العربي ن بيروت ن ط1 ،2008.

8-جورج ماي : الترجمة الذاتية ، تر: محمد القاضي ،بيت الحكمة ، تونس،ط1992،1.

9-الطيب بودربالة : من السيرة الذاتية إلى السيرة الروائية

www.benhedouga.com. 20/06/2020

10-الطيب بودربالة : رواية السيرة الذاتية في الجزائر، أعمال ملتقى عبد الحميد بن هدوقة، دارهومة ،وزارة الاتصال والثقافة ، الجزائر

11-أحمد حيدوش : السيرة الذاتية في الرواية ، مجلة المعارف ،العدد2007،2.

12-ممدوح النابي : السيرة الذاتية سؤال الوجود ، دارالثقافة والإعلام ، الشارقة ،ط2008،1.

13-محمد صابرعبيد :الذات الساردة ، دارنينوى ، سورية ، دط، 2013

14-خالد سليكي : الترجمة الذاتية عند محمد شكري ، مطبعة فضالة ،المغرب،ط2013،1.